وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

شواهد الشعر الجاهلي في تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ)

(دراسة في القيم الفنية والتوظيف التفسيري)

رسالة تقدّم بها الطالب
رعد ماموك حسين عبد

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف
الأستاذ المساعد
سعد خضير عباس

ربيع الثاني١٤٣٤هـ

آذار ٢٠١٣م

مدخل:

ليس من اليسير حصر الشعر العربي في أغراض معينة، فلقد ((نظر الأقدمون في الشعر العربي للتعرف على فنونه وموضوعاته، وتصنيفها ووضع كل منها تحت العنوان الذي يناسبه، فاختلفوا اختلافا كبيرا لاختلاف المنهج))[١]، ولا يمكن أن توضع القصيدة العربية في العصر الجاهلي في غرض واحد أو فن تجاهلًا إن للقصيدة مرمى وهدفا ابتغاه الشاعر غير ما يراه الباحث في تبويبه لقصيدة ذلك العصر، بل وحتى لبيت من أبياتها في غرض معين، وعند دراستي الشعر الجاهلي الذي استند إليه الطبري في تفسيره، وفي قراءتي دواوين الشعراء الجاهليين، وتحليل الأبيات وشرحها في أكثر من ديوان ومصدر، فضلًا عن المجاميع الشعرية التي قرأتها وجدتُ أن أغلب الأبيات تحمل في طياتها أكثر من تفسير وتأويل، وبالتالي تختلف الرؤيا في وضع القصيدة في غرض خاص، وإن ذلك التقسيم يجعل من ((القصيدة الجاهلية مجرد مجموعة من الأغراض المتنافرة التي لا يربط بينها سوى وحدة الوزن والقافية والقائل الشاعر))[٢].

ولذا يرى بعضهم أن للقصيدة الجاهلية ((مستوى ثانيا يختبئ وراء المعنى الظاهر المتعدد، وفي المستوى الثاني أو التحتي يتوحد الموضوع، وتتحقق الوحدة الفنية أو الجمالية للقصيدة الجاهلية))[٣].

أَما البواكير الأولى في ((أقدم من حأول تقسيم الشعر العربي جاهليا وغير جاهلي إلى موضوعات ألّف فيها ديوانا هو ابو تمام المتوفى حوالي (٢٣٢هـ) فقد نظمه في عشرة موضوعات، هي الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسيب، والهجاء، والأضياف ومعهم المديح والصفات والسير، والنعاس والملح، ومذمة النساء، وهي موضوعات

(١) الأدب العربي بين البادية والحضر: د. ابراهيم عوضين، وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ١٣١.
(٢) دراسات في الأدب الجاهلي: د. عبد العزيز نبوي، الناشر لخدمات الطباعة ، مطبعة حسان، شارع الجيش، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م: ١٣.
(٣) دراسات في الأدب الجاهلي: ١٣٠.

يتداخل بعضها في بعض، فالحديث عن الأضياف إما أن يدخل في المديح أو في الحماسة والفخر، والسير والنعاس يدخلان في الصفات، كما تدخل مذمة النساء في الهجاء))[١].

ثم جاء من بعده قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) في كتابه (نقد الشعر) ليقسم الشعر على ستة أغراض أسماها النعوت وهي نعت المدح، والمراثي، والتشبيه، والوصف، والنسيب[٢].

وجاء ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ليقسم موضوعات الشعر في كتابه العمدة على تسعة أبواب وهي النسيب، والمديح، والافتخار، والرثاء، والاقتضاء والاستنجاز، والعتاب، والوعيد والانذار، والهجاء وباب الاعتذار[٣]، وفي هذا التقسيم نجد أنه يمكن ضم بعض الموضوعات إلى الموضوعات الآخرى التي تشكل المركزية الاساسية ولها قصب السبق، من بين الموضوعات أو الأغراض الآخرى في الشعر العربي وكان ((من السهل أن يرد موضوع الاقتضاء والاستنجاز إلى المديح، والوعيد، والانذار إلى الهجاء وأن يضم العتاب إلى الاعتذار، وأيضا فإنه نسي موضوع الوصف))[٤]، والدارس لموضوعات الشعر الجاهلي يجد أن الموضوعات كثيرة، إلا ان نجد أن هناك أغراضا شاعت وطغت على الأغراض الأخرى كما يقول أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) عند دراسته أغراض الشعر ((ولما كانت أغراض الشعر كثيرة ومعانيها

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ١٩٥.
(٢) ينظر: نقد الشعر: لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م: ٦٤ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٣.
(٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: للامام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد القادر احمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م: ٢/ ٦٥، ٧٧، ٩٢، ١٠٦، ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٢٣.
(٤) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ١٩٥.

متشعبة جمة لا يبلغها الاحصاء كانت من الوجه أن نذكر ما هو أكثر استعمالا وأطول مدارسة له وهو المدح والهجاء والوصف والنسيب والمراثي والفخر)) [١].

وفي استقرائي لأبيات من الشعر الجاهلي في تفسير الطبري وجدت ان هذه الأغراض كانت هي البؤرة والمحور الذي اعتمده الطبري في استشهاده بالشعر، وتوظيفه الشاهد الشعري، ومما ينبغي ذكره أن هناك أغراضا آخر استقرأتها ووجدتُ لها حضورًا في التفسير مثل غرض الحكمة لما له ـ بطبيعة الحال ـ من التصاق بمفاهيم آيات الذكر الحكيم وسوف أولج هذا الفصل في دراسة شمولية في رصد هذه الأغراض ودراستها متسلسلة على وفق كثرة الشواهد التي وردت في التفسير التي بوبتها واحصيتها في الموضوعات والأغراض المتسمة والخاصة بها.

(١) كتاب الصناعتين: ١٣٧.

١. غرض الوصف:

ويُراد به ((وصفَ الشيءَ له وعليه وَصْفًا وصِفةً حَلّاه))[١]، ويُعدّ من أهم الموضوعات وأكثرها اتّساعًا في الشعر الجاهلي، وهو ((من الفنون البارزة التي برع فيها الشعراء الجاهليون، فقد نظروا في الطبيعة الصحراوية ودققوا النظر، فوصفوا كلّ ما وقعت عليه أعينهم))[٢]، ويندرج الكثير من الشعر الجاهلي تحت هذا الغرض[٣] وأن ((الشعر إلا أقلّه راجعٌ إلى باب الوصف))[٤]، فقد تمازجت الطبيعة الصحراوية مع الإنسان ، ونظرا إلى ما زخرت بهذه الطبيعة من نبات وجبال ورمال وشعاب ووديان ، وما صاحبته من مظاهر طبيعية من رياح وبرق ورعد وأمطار، وما كان اعتمادهم عليه في تحصيل قوتهم، ورفيق رحلاتهم، وحروبهم وهو الحيوان ، فوصف الشعراء كله ذلك، وأهم أوصافهم :

أ. وصف الطبيعة :

كانت الطبيعة وما فيها من سماء، ورياض، وصحراء أحاطت بالشعراء، وشحذت في قلوبهم فك طلاسمها، فراح فكرهم يصورها في صور بلاغية معبرة عن جمالها البهيج[٥] وراحوا يخاطبونها ويشكون همومهم من خلالها بأساليب شتى، والطبري أورد قول الخنساء[٦] وقد صورت مظهرًا من مظاهر الطبيعة وهو الليل الذي كان عندها طويلا متمنية زواله وحلول الفجر قائلة :

---

(١) لسان العرب: للامام العلامة ابن منظور، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة والاساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، م٩: ٣١٩ ، مادة (وصف).

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه:٢٤٩.

(٣) ينظر: دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي:٢١١ د. عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، لأصحابها حسن وأولاده، ٩ شارع عدي باشا بالقاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م:٢١١.

(٤) العمدة:٢/٢٣٠.

(٥) ينظر المبالغة والغلو عند شعراء المعلقات العشر - دراسة بلاغية : حمدية عباس جاسم ، رسالة ماجستير أجازتها كلية التربية جامعة بغداد ، بإشراف أ. د . احمد اسماعيل النعيمي ، ذي القعدة، ١٤٢٦هـ - كانون اول ٢٠٠٥م: ٧٣.

(٦) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية (طبقات فحول الشعراء:١/٢٠٣).

أَرْعَى النُّجُومَ وَمَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَهَا وَتَارَةً أَتَغَشَّى فضْلَ أَطْمَارِي [١]

ولم يكن ليل الخنساء وحده طويلا، بل جاء الطبري بقول النابغة الذبياني[٢]، بهذا المضمون في طول ليله فقال :

كِلِيْنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيْهِ، بَطِيءُ الكَواكِبِ[٣]

وهنا يضفي على كواكب ذلك الليل صفة خاصة وهي أنها لا تغور .

أما لبيد بن ربيعة[٤] فراح يصور سحابة أصابت العديد من القبائل العربية، فسقت بني مجد وهم قوم يُنسبون إلى أمهم، وهم قوم أولاد مجد بنت تميم بن غالب، أما أبوهم فهو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وسقت أرض نمير وهو اسم الأب لقبيلة من قبائل قيس بن صعصعة بن بكر بن هوازن، وسقت أرض هلال وهو الأب لحي من أحياء قبيلة هوازن[٥]، فقال واصفًا تلك السحابة:

سَقَى قَومِي بَنِي مَجْدٍ وأَسْقى نَمِيْرًا وَالقَبَائِلَ منْ هِلالِ[٦]

وكان للرياح نصيب في وصف الشعراء الجاهليين فالنابغة الذبياني وصف لنا ريحًا هبّت من أرض غطفان[٧] فقال فيها:

وَهَبّتْ الريحُ من تِلقاءِ ذي أُرلِ تزجي مَعَ الليلِ من صَرادِها صَرما[٨]

---

(١) ديوان الخنساء ، تحقيق د . درويش الجويدي المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م : ٨٥، تفسير الطبري: م ٧، ج١١ : ٢٣٠ والبيت من البسيط .

(٢) زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان (طبقات فحول الشعراء: ٥١/١).

(٣) ديوان النابغة الذبياني ، د . عمر فاروق الطباع ، دار القلم - بيروت - لبنان : ١٧ ، تفسير الطبري : م١٢ ، ج٢٣: ٢٠٢ والبيت من الطويل.

(٤) لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر، ينظر:(طبقات فحول الشعراء:١٢٣/١).

(٥) ينظر: شرح ديوان لبيد: حققه وقدم له د. احسان عباس، طبع بمطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٢م: ٩٣.

(٦) ينظر: شرح ديوان لبيد:٩٣؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٤: ١٤، والبيت من الوافر.

(٧) ينظر: ديوان النابغة: ١٠٩.

(٨) ديوانه: ١٠٩؛ وتفسير الطبري: م٨، ج١٣ :٦٤. والبيت من البسيط.

ب. وصف الحيوان :

كانت الحيوانات قريبة من نفس الإنسان وعواطفه في العصر الجاهلي ، وكان لها أشد الأثر في يوميات حياتهم ، فاعتنوا بها عناية كبيرة ووصفوا أجسام الحيوانات وقوتها وعاداتها وطباعها وابرز الحيوانات التي أحبوها وارتبطوا بها ارتباطا وثيقا :

ـ **الخيل** : أحب الإنسان العربي الخيل، بل وجد في نفسه محبتها ، قال (تعالى):

((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ المسومة والأنعام وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ))[١]، ولقد أعطى الإسلام هذا الحيوان مكـــــانة ميزته من بقية الحيوانات الأخرى فقال النبي محمد (ﷺ): ((**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الاجر والمغنم**))[٢].

ولذلك عُنيَ العربي بالخيل فهي صديقته في الحرب والسلم ، ففي الحرب وسيلته في الصول على الأعداء، وكانت صديقة الشاعر في السلم، ومن أهم وسائل حياته في الصيد والتسلية، ((ولم يعن الجاهليون بحيوان عنايتهم بالخيل ، فهي حبيبة إلى نفوسهم عزيزة عليهم ، يكرمونها ويؤثرونها بالطعام والشراب ، وهي زينة الفارس يمتطيها في نزهه وصيده ، وتكون حصنه عند الغارة، وسلاحه في الكر ونجاته عند الفرار، ولذلك خصوها بعناية فائقة))[٣].

ولم يقف الأمر عند هذا حسب، بل اختاروا لها أجمل الألوان ليصفوها به وانـــها عزيزه مصونة مثل الثياب الجميلة التي تصان وتحفظ بقطعة قماش تســـــمى (البقجة) لتباع بأغلى الأثمان وهي ذات لون أرجواني يشبه اللون الأحمر وهي فـــي

(١) آل عمران:١٤.
(٢) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح صبيح واولاده بميدان الازهر بمصر، ج٦ (باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة):٣٢.
(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ٢٥٣.

وشي وهيئة تجذب النفوس، هي ايضا ذات لون ما بين الأسود والأحمر يسمى الكميت، وهذا المعنى نجده في البيت الذي استشهد به الطبري من قول علقمة بن عبدة[١]:

كُمَيتٌ كَلَونِ الارْجُوانِ نَشَرتهُ لِبَيْعِ الرَئيِ فِي الصُّوانِ المُكَعَّبِ[٢]

وكانت العرب تَسِمُ الخيلَ أي تعلِّمها بعلامة، و هذا المعنى أشار إليه لبيد بن ربيعة وهو يفتخر بخيله التي أتت على العدو في معركة حدثت بأرض القرنتين بين غطفان وبني عامر[٣]، إذ يقولُ :

وَغَداةَ قاع القرْنتينِ أتِيَنهُم زُجلًا يَلوحُ خِلَالَها التَّسوِيمُ[٤]

وبرزت في العصر الجاهلي جماعة من الشعراء يطلق عليها (الفرسان) جادوا في ركوبهم الخيل، وكانت لهم ((بطولة نادرة في حربهم عليها لخصومهم، وأقرانهم، وهم كثيرون، فقد كان لكل قبيلة فارسها أو فرسانها الذين يتدربون على ركوب الخيل طويلا وكيف يقفزون عليها ويشهرون سيوفهم، ويلوحون برماحهم، وكيف يسددون ضرباتهم لأعدائهم، وتلقانا دائما أسماؤهم وخاصة في حروبهم الطويلة مثل حرب البسوس وفارسها المهلهل التغلبي))[٥]، ومن ابرز شعراء هذه الطائفة ((ومن فرسانها المشهورين عامر بن الطفيل[٦] فارس بني عامر بن صعصعة أقوى عشائر هـــــوازن وأشدها بأسا))[٧].

---

(١) علقمة بن عبده بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة ،(طبقات فحول الشعراء:١٣٧/١).
(٢) ديوان علقمة بن عبدة شرحه وعلق عليه وقدم له سعيد نسيب مكارم ، دار صادر بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٦٦: ١٤.، وقد وردت في الديوان لفظة (الرداء) بدل (الرئي)؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦ :١٥٢ . والبيت من الطويل.
(٣) ينظر: شرح ديوان لبيد: ١٣٣.
(٤) المصدر نفسه:١٣٣، ووردت كلمة (رهوًا) بدل (زجلا) ، تفسير الطبري: م٣، ج٣:٢٦٤. والبيت من الكامل.
(٥) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٣٦٦.
(٦) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري وهو ابن عم لبيد الشاعر وكان فارس قيس ويبدو ان الامام العباس (عليه السلام) توارث شجاعة ابيه وامه، فمن جهة الاب ابوه علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ومن جهة الأم أمه المعروفة بأم البنين، وهي فاطمة بنت حزام بن عامر بن كلاب وقبيلتها الكلابية، اشجع القبائل عند العرب وهي تنتمي في نسبها إلى عامر بن الطفيل الذي عمه عامر بن مالك الذي يطلق عليه ملاعب الاسنة.(الشعر والشعراء :١ / ٣٢٢-٣٢٣). وام البنين رسالة إلى المرأة المسلمة: عبد العظيم المهتدي البحراني، مؤسسة عاشوراء للطباعة والنشر، من اصدارات جمعية اهل البيت (عليهم السلام)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ١٩، ٢٣.
(٧) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٣٦٦.

ومن الحيوانات الأخرى التي وصفوها:

الناقة :

إنها رفيقة الدرب الطويل في الصحراء، ومصدر رزق العربي وقوته، وصور طرفة بن العبد[١] الناقة في معلقته، وبين سرعتها في السير مع ضمورها، وأشار إلى قوة عظامها ووصف فقارها وجمجمتها وعنقها، وصاغ ذلك كله في ثمانية وعشرين بيتاً من أبيات معلقته ومثلما أخذ وصف الناقة مأخذه في معلقة طرفه بن العبد نجد ان معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي[٢]، لم تخلُ من هذا الوصف للناقة مستعملا صوراً شتى ينشرها عليها منها أنها ناقة عيطل، بمعنى أنها طويلة العنق، وذات بياض خالص، يسمى هِجان، وانها ادمة بياض اللون لم تحمل ولداً في رحمها، وأنها بكراً أي حملت بطناً واحداً وان ذراعيها ممتلئتين لحماً[٣] ونجد هذا الوصف في البيت الذي ساقه الطبري في تفسيره من معلقة عمرو بن كلثوم الذي قال فيه :

ذِرَاعِي عَيْطَلٌ ادمَاءُ بَكرٍ هِجَانِ اللّونِ لَم تَقرَأ جَنِينًا[٤]

اما المثقب العبدي[٥] فهو يشعر ويتحسس بآلام ناقته عندما يحملُ عليها رحله وعدة سفره فتتأوه لذلك كما في البيت الذي جاء به الطبري من أبيات المثقب الذي قال فيه:

إذا مَا قُمْتُ أُرْحِلَهَا بِلَيْلٍ تَأوَّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِيْنِ[٦]

---

(١) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة (طبقات فحول الشعراء : ١٣٧/١).
(٢) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم (طبقات فحول الشعراء :١٥١/١).
(٣) ينظر شرح المعلقات السبع : للامام أبي عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين الزوزني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م: ١٠٣-١٠٤.
(٤) ديوان عمرو بن كلثوم ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له ، د . عمر فاروق الطباع ، دار العلم بيروت ـ لبنان: لبنان: ٦٠ ، تفسير الطبري م١، ج١ :٥٢ والبيت من الوافر.
(٥) عائد بن محسن بن ثعلبة بن وائله بن عدي (طبقات فحول الشعراء ٢٧١/١).
(٦) شعر المثقب العبدي: تحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين دار المعارف للتأليف والشعر مطبعة المعارف ـ بغداد : ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م : ٣٩ ، تفسير الطبري : م٧، ج١١ : ٦٩ والبيت من الوافر.

واختار امرؤ القيس البكر: وهو الصغير من الإبل[١] ليصف به حال الإنسان وما سيؤول إليه عند الكبر، فقال:

أرَى المرْءَ ذَا الأذوادِ يُصبِحُ مُحْرِضًا كَإحرَاضِ بَكرٍ في الدّيارِ مريضِ[٢]

الثور :

اضفى الشعراء على الثور لباس الشجاعة، والقوة، وتصوير صراعه وانتصاراته على الحيوانات الآخرى، والطبري ذكر أبا ذؤيب الهذلي[٣] بقوله وهو يصف لنا صراع الثور واستعداده للكلاب التي حاولت قتله:

فَانْصُرْنَ مِنْ فَزَعٍ وَسِدَّ فُرُوْجَهُ غَيْرَ خوارٍ وَافيانَ وَاجَذع[٤]

أي ان سد فرجه تعبيرًا عن قوته وان هذه الكلاب منها وافيان أي سالمان الاذن، ومنها الاجدع وهو الكلب الذي قُطعت أذنه وقد انتصر عليها الثور في المعركة.

ج. وصف الخمرة :

وقف الشعراء امام الخمرة وقفة شاعرية متأنية، فنكاد لا نجد شاعرًا يخلو شعره من ذكرها، وكانت لهم ((وقفة هادئة متأملة فيها فن وابداع ، وقد تناولوا الخمر و وصفوا مجالسها وأثرها في شاربيها ، وذكروا لونها، وصفاءها، وطعمها وما تفعله في النفوس

---

(١) ينظر: ديوانه :٧٧.
(٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٣:٥٥، والبيت من الطويل.
(٣) خويلد بن خالد بن مُخَّرث بن زبيد بن مخزوم بن حاهلة بن كاهل بن الحارث (طبقات فحول الشعراء : ١٣١/١).
(٤) المفضليات : المفضل بن محمد بن يعلي الضبي ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، الطبعة السادسة دار المعارف كورنيش النيل القاهرة ، ج . م . ع : ٤٢٦ ، ووردت لفظة (فاهتاج) بدل (فانصرن) تفسير الطبري م٣ ، ج٣ :٧٢ ، والبيت من الكامل.

وكان من حُبِّهم للخمر أن شبهوا ريق محبوباتهم بالخمر طيباً ونكهة))[١].

وليس هذا فحسب بل بلغ تعلقهم بها انهم كانوا يضعوها في آنية خاصة تسمى (الدُّن) ويدعو لها أن لا تفسد وتبقى صالحة للشرب وقد ذكر الطبري بيت الأعشى[٢] الذي يفضي عن هذا المعنى الذي قال فيه:

وَقَابلَها الرِّيحَ في دَنِّــهَا وَصلَّى عَلى دِنِّهَا وَارْتَسَم[٣]

والارتسام بمعنى التكبير والتعويذ[٤].

ويبدو أن شرب الخمر كان من الصفات النبيلة في نظرهم، إذ كانت علامة السخاء عندهم وشاحذة للهمة في انفسهم، تدفعهم إلى الكرم، بل حتى البخيل يهين من أجلها ماله إذا أديرت عليه، الطبري أورد قول عمرو بن كلثوم الذي بين فيه آثار الخمر في النفوس:

تَرَى اللِّحزَ الشَّحِيحَ إذا أُمِرَّتْ عَلَيــهِ لِمَالِهِ فِيْهَا مُهِـيْنَا[٥]

وفي ذات السياق في الحديث عن الخمر تجدر الإشارة إلى أن الأعشى عد أكثر الشعراء إشادة بالخمر واصفاً مجالس الخمارين وما تتركه الخمرة من أثر في النفوس وكان ((شاعر الخمر بلا منازع فلم يترك معنى من معانيها أو صفة من صفاتها إلا ذكرها وأفتن وقد اجاد في تصوير أثرها في الشاربين والرؤوس والمفاصل والعظام))[٦].

---

(١) الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه : ٢٧٨.
(٢) ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد (طبقات فحول الشعراء: ٥٢/١).
(٣) ديوان الاعشى ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، دار القلم ، بيروت ـ بيروت ـ لبنان :٢٢١ ، تفسير الطبري : م١، ج١ : ١٣٦ والبيت من المتقارب.
(٤) ينظر ديوانه : ٢٢١.
(٥) ديوانه:٥٥؛ تفسير الطبري: م١٤، ج٢٨ : ٥٥ والبيت من الوافر .
(٦) ادب العرب في العصر الجاهلي : ١٥٨.

ونجده عارفاً بأي وقت تشرب وأن شربها في الصباح يبعث الانقباض في النفس، أما في الليل فتترك أثرًا طيبًا في النفس وتبعث اللذة فيها، والطبري جاء بقول الأعشى :

لَنا من ضُحاها خُبْثُ نَفْسٍ وكآبة وَذِكْرَى هُمُومٍ مَا تَغِبّ إذاتُهَا

وَعِنْدَ العَشِيّ طِيبُ نَفـسٍ وَلَـذّةٌ وَمَـالٌ كَثِيرٌ غُدْوَةً نَشَوَاتُهَا[1]

وذكر الطبري ما قاله الأعشى أيضًا من وصف الخمرة، إذ أنها الصليفية، وهي المعتقة الطيبة في الطعم والمذاق وان لها زبد وهو خيار الشي:

صَرِيفَيَّةٌ طَيِّبًا طَعْمُهَا لَهَا زَبَد بَيْن كُوب وَدَنّ[2]

لذا برز الأعشى في هذا الوصف ((فقد ملكت الخمر عليه اقطار نفسه لدرجة جعلته يكف عن لقاء الرسول (ﷺ) لأنه يحرم الخمر واجادته لوصف الخمر جعلت القدماء يقولون عنه (انه اشعر الشعراء إذا طرب) أي إذا شرب الخمر))[3] .

ومن خلال دراستي لغرض الوصف وجدت أنه كان أكثرُ الأغراض في تفسير الطبري ودار في محاور عدة منها :-

١. وصف الطبيعة وما فيها، من وصف الصحراء، ووصف المياه، والأشجار، وما تمر عليها من مظاهر، كالليل، والنهار، والسحاب، والأمطار.

٢. وصف الحيوانات وحياتها اليومية وما ألم بها من أحداث في الحياة .

---

(١) ديوانه :٤٢ ، وردت لفظة (العشي) بدل (العشاء) ، تفسير الطبري : م٢، ج٢: ٤٧٧ والبيتان من الطويل.
(٢) ديوانه : ٢٣٩ ، وردت لفظة (صليفية) بدل (صريفية)، تفسير الطبري: م١٣، ج ٢٧ : ٢١٥ والبيت من المتقارب.
(٣) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٣. شغلت ساحة الحرب وصف الكثير من الشعراء الذين تفننوا بشجاعتهم بـــــــها وانتصارهم على العدو .

٤. الخمرة ومجالسها كانت من الموضوعات التي شغلت ذهن الشعراء فوصفوها وابدعوا في وصف مجالسها وآنيتها .

٥. رحيل الأحبة، وذكر الديار وما اختلجت به النفس من مكنونات الحب والهوى وما خلفه ذلك من أثر في نفوس الشعراء فوصفوا وصفا دقيقا ما دار في اذهانهم، وما جاشت به مشاعرهم من فيض وألم، وحنين، ولواعج حب وذكرى، فجادت قرائحهم بأعذب شعر في ذلك الموضوع وأحسن فاحتل مساحة واسعة من مقدمات قصائدهم الطوال .

٢. غرض المدح :

هو ((نَقِيضُ الهِجَاءِ وَهُوَ حُسْنُ الثّناءِ))[١]، ويراد به ((إضفاء الصفات الحميدة إطلاقاً على شخص أو جماعة ، وقد طرقه الشاعر الجاهلي عند تعرضه للأيام لإضفاء صفات البطولة على قومه أو على فرد منهم)) [٢]، وحفل الشعر الجاهلي بقصائد المدح في مختلف عصور الأدب، ولو استطلعنا وتتبعنا بدقة قصور الخلفاء، والملوك، والأمراء لقلما تجد قصراً أو بلاطًا يخلو من شاعر غرضه الاساس مدح الممدوح وتخليد فتوحاته وانجازاته ، وكانت المعاني الأخلاق، والفضائل، كالكرم، والشجاعة، والعفة أغلب ما يدور في شعر هذا العصر الذي يمكن تقسيمه على الوان ثلاثة :

١. **شعر غايته الشكر والعرفان**: في هذا اللون يهدف الشاعر في مدحه ذكر فضل الممدوح وإحساسه، وشكره دون بغية الشاعر في نيل الجوائز والعطايا من الممدوح.

٢. **وسيلة للتكسب** : اتخذ الشعراء هذا اللون من الغرض وسيلة لنيل الأموال والهدايا وكان الشعراء بهذا اللون يقدمون ((على السادة المبرزين وملوك المناذرة والغساسنة يمدحونهم وينالون جوائزهم وعطاياهم الجزيلة وأخذوا في أثناء ذلك يعنون بهذه القصائد عناية بالغة حتى تحقق لهم ما يريدون من التأثير في ممدوحيهم واشتهر بذلك زهير[٣]، والنابغة وحسان بن ثابت، أما زهير فاختص بأشراف قومه، وأما حسان فأختص بالغساسنة ولعلقمة بن العبد فيهم

---

(١) لسان العرب: م٨: ٢٢٧، مادة (مدح).
(٢) أيام العرب واثرها في الشعر الجاهلي: منذر الجبوري ، دار الشؤون الثقافية العامة الاعظمية بغداد ـالعراق ط٢ ١٩٨٦م : ٢٠.
(٣) زهير بن أبي سلمى واسم ابي سلمى ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن (طبقات فحول الشعراء: ٥١/١).

مفضلية بديعة نظمها في الحارث الأصغر يتشفع لأخيه وقد وقع في يديه أسيرًا، وأما النابغة فقد خص النعمان بن المنذر بمدائحه))[١]، ومن أمثلة هذا اللون من الشعر ما ذكره الطبري من قول الأعشى الذي اخضع قبيلة الرباب لملكه وبعد أن رفضوا الطاعة له فقال:

هُو دَان الرَّبَابِ إِذْ كَرِهُوا الـ دِّينِ دِرَاكاً بِغَزوةٍ وَصِيالِ[٢]

٣. **لون ثالث** : يمكن أن نسميه مديح حقيقيا نجد فيه الشاعر لا يبحث فيه عن مال أو جائزة وإنما يقول هذا اللون تعبيراً عن الحب والولاء لمن يمدحه[٣]، وأورد الطبري في هذا اللون من المدح قول زهير بن أبي سلمى في أبياته التي عبر فيها عن مدحه لسيدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان ذاكراً بهذه القصيدة دورهما في إطفاء نار الحرب وإفشاء السلم بين عبس وذبيان وبذلهما المال والمعروف من القول لكي ينهوا هذه الحرب فقال:

وَقَدْ قُلتُما إنْ نُدرِكِ السِّلمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمعْروفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلمِ[٤]

٤. **أما الاعتذار** : فهو لون نشأ من المديح وتتداخل في هذا اللون عاطفة الخوف سطوة الممدوح أو حكمه مع الشكر والرجاء لنيل رضا الملوك والأمراء الممدوحين ولطلب العفو منهم، نجد في هذا اللون ما جاء به الطبري من بيت للنابغة الذبياني في مدح الغساسنة ليفك أمر قومه[٥]، ممّا أدى إلى غضب النعمان

---

(١) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي): ٢١١.
(٢) ديوانه: ١٩٨ ، تفسير الطبري : م٣، ج٣ : ٢٧٤ والبيت من الخفيف.
(٣) ينظر: دراسات في الأدب الجاهلي: ١٨٣.
(٤) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، شرح وتحقيق الدكتور احمد طلعت استاذ الدراسات العربية بجامعة كولون ـ المانيا ـ منشورات دار القاموس الحديث ـ دار الفكر العربي بيروت، ط١، ١٩٦٨م : ٢٤ ، تفسير الطبري : م٢، ج٢: ٤٣٠ والبيت من الطويل
(٥) ينظر: دراسات في الادب الجاهلي ١٨٣ ـ ٢٨٤ ، وينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي):٢١١ .

ابن المنذر على الشاعر فبدأ الشاعر يقدم اعتذارته للملك وهو ينشر عليه مفهوم (السورة) التي هي بمعنى الرفقة والشرف والمكانة وأنه بمنزلة مستقرة وثابتة، بينما الملوك دونه مضطربين وغير مستقرين إذ قال:

أَلَمْ تَرَ أنّ اللهَ اعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلكٍ دُونَها يَتذبْذَبُ[١]

وأضفى الشعراء على ممدوحيهم في هذا الغرض جميع المعاني والخصال الحبيبة، ومن ابرز الخصال الشجاعة التي كانت يتبارون من أجل أن يصفوا بها بل أحبوا الموت من أجلها وكان غمار الحروب لكي يصفوا ويمتدحون بها ، وفي هذا المضمون ذكر الطبري قول الأعشى في مدح هوذه بن علي الحنفي في خوضه الغزوات في كل عام ، وهو ذو عزيمة لينال المال والمجد وليقرب نساءه بعد أن انقطع عنهن لانشغاله في الغزوات، فقال:

وفي كلّ عَامٍ أنت جَاشمُ غزوةٍ تشــدّ لأقصَاها عَزيمَ عَزائِكا
مورّثةً مالا وفي الذكر رفعةً لَما ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُروءِ نِسَائكا [٢]

وممّا ساقه الطبري قول الأعشى وهو يرسم صورة يمدح بها إياس بن قبيصة فهو يكثر العبوس ويكشف عن أنيابه[٣]، وهذه الصورة كشف عن طياتها الأعشى في ذلك الوقت، وبقيت ملازمة لمظهر الشجاعة حتى عصرنا الحاضر فقال:

وَلَهُ المُقدَّمُ لا مِثْلَ لهُ سَاعَةَ الشَّدقِ عَن النَّابِ كَلِح[٤]

---

(١) ديوانه: ٢٥ ، تفسير الطبري م١، ج١ : ٥٨ والبيت من الطويل.
(٢) ديوانه :١٦١ ، ووردت لفظة (الحمد) بدل (الذكر) تفسير الطبري : م٢، ج٢: ٥٩٠ والبيتان من الطويل.
(٣) ينظر : ديوان الاعشى :٥٠.
(٤) المصدر نفسه : ٥٢ ، تفسير الطبري : م١٠، ج١٨ :٧١ . والبيت من الرمل.

وكان للكرم واطعام الضيف أهمية كبرى في حياة العربي في العصر الجاهلي و وجدوا فيه سر خلودهم وبقاء ذكرهم على الألسن ، وممّا ذكره الطبري من بيت الخنساء التي يبدوا أنها كانت مدركة بمكانة هذه الصفة فقالت تمدح أخاها صخراً :

القَومُ أعلَمُ أنَّ جِفْــنَتَهُ تَغْدُو غَداةَ الرِّيحِ أو تَسَرِي[١]

بمعنى انه مطعام وان جفنته أي قصعته باذل فيها طعامه ليلاً ونهاراً.

وكان للأخلاق والشمائل الطيبة التي كانوا متحلين بها بنو بدر[٢] مدعاة في مدح حاتم الطائي[٣]، واصفًا إيّأهم بأنهم أولي مجلس في البيت الذي ذكره لنا الطبري:

فَدُعِيتُ فِي أولى النّدِي وَلَمْ يُنظَــر إلَيّ بِعَيْــنٍ خَــزْرِ[٤]

وفي السياق ذاته في مدح الأخلاق اتخذ زهير بن أبي سلمى صفة الكرم سببًا لمدح سنان بن الحارث ، فقال:

رَأيْتُ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُتِهم قَطِيـنًا لَــهُم حتى إذا أنْبَتَ البــقْلُ[٥]

أما الأعشى فوجد في عدل عامر بن الطُفيل صفة تستحق المدح فقال فيه:

لَا يَأخذ الرِّشوَةَ في حُكْمِهِ وَلَا يُبـالِي غَبْــنَ الخــاسرِ[٦]

---

(١) ديوانها: ٨١؛ ووردت لفظة (الحي يعلم) بدل (القوم اعلم) تفسير الطبري : ٥، ج٨: ١٦. والبيت من الكامل.
(٢) ينظر: ديوان حاتم الطائي: شرحه وقدم له أحمد رشاد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ٢٦.
(٣) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج (الشعر والشعراء: لابن قتيبة ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ٢٣٥/١).
(٤) ديوانه:٢٦؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ١٥١. والبيت من الكامل.
(٥) شرح ديوان زهير:٤٣؛ ووردت عبارة (بها حتى اذا انبث) بدل (لهم حتى اذا انبت)، تفسير الطبري: م١٠، ج١٨: ٢١. والبيت من الطويل.
(٦) ديوانه: ١١٤؛ تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠١.و البيت من السريع.

ومن الصفات التي كثر فيها المدح وكانت حاضرة عند بعض العرب هي الحلم وهي ((صفة تميز الرجال الذين تصغر في عيونهم الحوادث مهما جل شأنها وعظم خطرها وهو دليل على بلوغ الحلم في مدارج الإنسانية مرتبة عالية ، وعلى الرغم من اهتمام العرب بالقوة وشدة الباس واحتكامهم إلى السيف في أكثر الأحوال فأنهم كانوا يتصفون بالحلم ورجاحة العقل والابتعاد عن الحمق والطيش وسرعة الانفعال ولا ندعي القول أنّ جميع العرب يتصفون بالحلم ورجاحة العقل، إذ إن الذين اشتهروا به كانوا قلة وهذا شأن الحلماء عند جميع الأمم))[١]، وجاء الطبري بقول أوس بن حجر[٢] الذي انطلق من هذا المعنى مادحا نفسه وما تجود به من العفو والصفح والتسامح وغفران أخطاء الآخرين التي يعفو عنها بحلمه فقال :

ألا اعْتِبُ اِبْنَ العَمِّ اِنْ كَانَ جَاهِلًا وَاغْفِرُ عَنْهُ الجَهلَ اِنْ كَانَ اَجْهَلَا[٣]

وما تميز به الشعراء في هذا الغرض الاهتمام بالمقدمة التقليدية بل عدوها قضية جوهرية في بناء القصيدة ولقد التزم بها أغلب الشعراء وعدوها جزءًا من القصيدة وكانوا يجدون أن ((هذه المقدمة تمثل الجسر التقليدي الذي تمر من خلاله القصيدة وهي عادة تأخذ طريق الوقوف على الطلل أو الديار، ثم تسلية الهم بناقة قوية ويدخل احياناً لوحة الصيد ثم الانتقال إلى الممدوح وقد تفتقر هذه اللوحة على ذكر الحبيبة دون الديار والانتقال إلى الممدوح وتختزل عند بعض الشعراء إلى الاكتفاء بالغزل ثم الانتقال إلى

---

(١) الحلم في الشعر الجاهلي، د. عبدالرزاق خليفة محمود الدليمي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون الثقافية ، الاعظمية ،بغداد، العراق ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ ، مجلد ٣١ ، العدد٣:٤٣.

(٢) اوس بن حجر بن عتاب بن عبدالله بن غدي بن نمير بن أسيد بن عمرو بن تميم (طبقات فحول الشعراء:٩٧/١).

(٣) ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح د . محمد يوسف نجم، الجامعة الامريكية ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م :٨٢ ، تفسير الطبري م١، ج١ :٣٩٨ والبيت من الطويل.

APSTRACT

The Holly Qura'n descended in the language of Arab and the well being forefathers and the comates of the prophet Mohammad (peace be upon him) calculated to return to the Arab language to understand the wanted meaning of the gracious verse in the Holly Qura'n and go back to poetry in order to explain these verses especially the Artless verse (Aalsh'r Aljahili) That Mohammad Bin Jareer altabary had chosen to explain the meaning of Alqura'n verse in his famous book (Jami Albayan antaweel ey alquran) . he considered the altress poetry a very important document that reached us from the pre-islam age and represent an important record for their morals, habits , values and religious, so I intend in this research to study this kind of poetry in my epistolary and named it (pre-Islamic quotation poetry in Al-Tabary explanation ,to die 310 a.h)a study in his artistic value and I put at the introduction a summery of the writer's life , his birth and early period of his life and his famous works and then his death , then I put a definition for his book and considered it the most important source and mention the reasons that made him use the pre-Islam poetry with it's meaning and pronunciation qualities in this kind of poetry (Alsher Aljahili) after that I divided my study into three chapter , the first chapter was about the questions of this verse and the second was about the relationship between the word in (Alshe'r Aljahili) and the same word in the Holly Qura'n and the third chapter I revealed the artistic values of that verse. The most important result of my study were:

1- The description in first chapter was the most repeated to describe the nature , animals , war and wine . Then he talked about the single and plural compliment then the gallant and wisdom poetry at the same rate , honor , satire and pathos came after that . While in the third chapter , the similarity was the most poetic images as an evidence chosen from the pre-Islam poetry , we noticed clearly that the metaphor and designation came to the surface for us in the study of the rhyme (outward music) IN the example of the evidence of the pre- Islam poetry that (bahar alkawel) while (albeseet) in third degree and (Alwafer) in the lower level and after that (almitaqarib) while (Alramul , Alsaree ; and Alkhafeef) wre uses very little. While (mukla; albaseet , Mahzoo , Alkamilo and

Almadeed) were depend on three letters of verse only. In the study of rhyme to these evidences it was seemed that the rhyme which the last letter of verse was (r) had taken the highest level in my study and after that the rhymes which ended with the letters (d,l , n) and the rhymes which ended with the letters (b , n) in no more than (20lines of verse the rhymes which ended with (K, h) had no more (10) lines of verse . The rhymes which ended with (k , f , w , s , h , kh , dh , alhamza , t) had no more (3) lines of verse and the letters (th , sh , dha , gh) were absent from the pre- Islam poetry (Alshe'r aljahili) at the end I acknowledged that had done what can I do in this research hopping from the generous reader to design or mention our mistakes because the perfection is of Allah only (subhanaho wa talala) Grateful in for Allah and the prayer upon Mohammad and his holly sons and his faithful comates .